

فى رحاب القرآن

د. نادر الفضلى

الملخص: يعتبر الكاتب نزول القرآن حدث عظيم فى تاريخ البشرية التى لها مكانة خاصة فى سلسلة النبوة و يوضح بـ «إنَّ القرآن هو كلام الله» و يبين جوانبه و مكانة النبيؐ بالنسبة الى القرآن فى سبعة مواضع، ثمَّ يتحدث عن عظمة القرآن اعتماداً على كلام اهل البيت:..
كلمات مفتاحية: عظمة القرآن؛ هداية القرآن؛ النبوة؛ كلام الله؛ العلاقة بين رسول الله و القرآن؛ العلاقة بين القرآن والعترة.

حدث عظيم

لما أخرج آدم و زوجته حواء سلام الله عليهما من الجنة و هبطا إلى الأرض، بشر الله بنى آدم بقوله:

«فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى»^١

بعث الله أنبياءه فى فترة انتشار الانحراف بين بنى آدم و الذين ضلّوا طريق الفطرة و مالوا الى الانحراف و الشرك و البدعة. قال أمير المؤمنين على^٧ عن هذه الحادثة التاريخية فى الخطبة الأولى من نهج البلاغة:

«وَ اصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ، أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ وَ عَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرَ خَلْقِهِ عَهْدَ اللَّهِ إِلَيْهِمْ فَجَهِلُوا حَقَّهُ وَ اتَّخَذُوا الْأَنْدَادَ مَعَهُ وَ اجْتَالَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ وَ اقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ؛ فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ وَ وَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ»^٢

فنوح، وهود، وصالح، و ابراهيم، ولوط و شعيب، هم من الانبياء الذين جاءت قصص كفاحهم و مجاهداتهم فى سبيل هداية الناس الضالّين، فى القرآن، و ذكرت جهودهم فى سبيل إشاعة التوحيد و عبودية الله.

حتى بعث الله موسى^٧ الى بنى اسرائيل و قال:

«وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ»^٤

ثم بعث بعد موسى^٧، عيسى بن مريم^٧ بالنبوة و قال فيه:

«وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى

١. طه / ١٢٣. جاء هذا المضمون فى الآيتين الأخريتين (بقرة / ٣٨ و الاعراف / ٣٥). لايشقى، اى لا يتعب.

٢. نهج البلاغة / الخطبة الاولى: بحار الانوار ١١ / ٦٠.

٣. اشار القرآن الى قصة:

نوح^٧: فى سورة الشعراء / ١٠٥ - ١٢٠.

و هود^٧ فى سورة الاعراف / ٦٥ - ٧٢

و صالح^٧ فى سورة الشعراء / ١٤١ - ١٥٨.

و ابراهيم^٧ فى سورة العنكبوت / ١٦ - ٢٥.

و لوط^٧ فى سورة الشعراء / ١٦٠ - ١٧٣.

و شعيب^٧ فى سورة الاعراف / ٨٥ - ٩٣.

٤. القصص / (٢٨): ٤٣.

وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ النُّورِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ»

بعد مرور عدة قرون و إنتهاء الأيام الطويلة، بعث الله سبحانه وتعالى النبي الأكرم محمد المصطفى ٦ بالنبوة وجاء ذلك في قول الامام على ٧:

«أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ وَ طُولِ هَجْعَةٍ مِنَ الْأُمَمِ وَ اعْتِرَازٍ مِنَ الْفِتَنِ وَ انْتِشَارٍ مِنَ الْأُمُورِ وَ تَلَظُّظٍ مِنَ الْخُرُوبِ وَ الدُّنْيَا كَاسِفَةُ النُّورِ ظَاهِرَةُ الْعُرُورِ عَلَى حِينِ اصْفِرَارٍ مِنْ وَرَقِهَا وَ إِيَّاسٍ مِنْ ثَمَرِهَا وَ اغْوِرَارٍ مِنْ مَائِهَا»

وقال ايضا:

«إِلَى أَنْ بَعَثَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ ٦ لِإِحْزَازِ عِدَّتِهِ وَ إِمْتَامِ نُبُوتِهِ»

ألبس الله النبي الأكرم ٦ رداء الخاتمية و أنهى بوجوده الكريم سلسلة الرسالة. و أيد الرسالة على حصيلة جهده، و جعله خاتم النبيين و رسله. ومن ثم أراد أن يظهر بيّنة عظيمة، حيث قال الامام الصادق ٧:

«لَقَدْ تَجَلَّى اللَّهُ لِحَلْقِهِ فِي كَلَامِهِ وَ لَكِنَّهُمْ لَا يُبْصِرُونَ»

و ببيان اكمل، قال امير المؤمنين ٧:

«فَبَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ٦ بِالْحَقِّ لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ إِلَى عِبَادَتِهِ وَ مِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ إِلَى طَاعَتِهِ، بِقُرْآنٍ قَدْ بَيَّنَّهُ وَ أَحْكَمَهُ لِيَعْلَمَ الْعِبَادُ رَبَّهُمْ إِذْ جَهِلُوهُ وَ لِيَقْرُوا بِهِ بَعْدَ إِذْ جَحَدُوهُ وَ لِيُشَبِّهُوهُ بَعْدَ إِذْ أَنْكَرُوهُ. فَتَجَلَّى لَهُمْ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا رَأَوْهُ بِمَا أَرَاهُمْ مِنْ قُدْرَتِهِ وَ خَوْفِهِمْ مِنْ سَطْوَتِهِ، وَ كَيْفَ تَحَقَّقَ مِنْ تَحَقُّقِ الْمَثَلَاتِ وَ اخْتَصَصَ مِنَ اخْتِصَصِ النَّقِمَاتِ»

أظهر الله تعالى قدرته للناس و أخافهم من سطوته و أشار الى كيفية تدميره الكافرين بعذابه و

١. المائدة (٥): ٢٤.

٢. نهج البلاغة / الخطبة ١٢١ و الخطبة ٨٩ و بحار الانوار ١٨ / ٢١٨ و في قل آخر: الكافي ١ / ٦٠ و تفسير القتي ١ / ٢.

٣. نهج البلاغة : ٤٤ / الخطبة ١ و بحار الانوار ١٨ / ٢١٦.

٤. فتقّى به الرُّسُلَ وَ خَتَمَ بِهِ الْوَحْيَ نهج البلاغة / خطبة ١٩١ و بحار الانوار ١٨ / ٢٢١.

٥. بحار الانوار / ٨٩ / ١٠٧ و عوالي اللآلئ ٤ / ١١٦.

٦. اشارة الى الآية الكريمة: «كَتَابَ أَخْبَثَ آيَاتِهِ» / هود (١١): ١.

٧. الكافي ٨: ٣٨٦، نهج البلاغة : ٢٠٤، الخطبة ١٤٧، بحار الانوار ١٨: ٢٢١.

كيفية انتقامه من الطواغيت وحصدهم. وكذلك أنزل القرآن على محمد النبي^٦ حيث قال:
 «وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ»
 بلى! هكذا أنزل الله القرآن على محمد^٦.

كلام الله

قلنا، إنّ القرآن كلام الله، نتحدث الآن حول هذا الموضوع بالتفصيل:
 نزل القرآن بهذه العبارات على قلب أشرف البشر، النبي الخاتم^٦ وهذا ليس معناه إلقاء معنى
 القرآن عليه، ولا بمعنى أنّه قد ألبس تلك المعاني كسوة الألفاظ المناسبة.
 لإيضاح أكثر نقول:

كيفية صدور الكلام عن الانسان: إنّ الانسان يتصوّر المعاني المطلوبة ثمّ يوجد تلك المعاني في
 الخارج بشكل ألفاظ. ليست الألفاظ قائمة بذاتها مطلوبة في القول بهذا الشكل، بل المعاني هي
 غرض المتكلّم وفي كلامه. فهذا هو كلام صدر عن الإنسان ويستند إليه. في هذه الحالة يقولون
 هو تكلّم.

لكن في بعض الأحيان ليس هكذا يتصوّر الانسان ألفاظاً خاصّة ويتكلّم بهذه الألفاظ نفسها
 وعلى تلك الصورة في الخارج. حيث أنّ اللفظ قائم بذاته، مطلوب في هذه الحالة.

فجميع الخطب و الأقوال التي صدرت عن النبي الأكرم هي من النوع الأول و من ثمّ تقع
 خصائص وجمال أقوال النبي في أفق عظمته و بنيان قوله^٦ و لكن القرآن هو نوع آخر من الكلام
 الذي يخصّ الله و نظراً لأنّ لفظه و معناه نزل من عند الله، فانه ليس من جنس كلام البشر بما أنّه
 لا علم لنا به و لا ينبغي لنا أن نتكلّم عن كيفية صدوره.

كفى لعلنا هذا، أنّ معاني القرآن و ألفاظه بيّنة عظيمة من الله و لا شبهة له و لا نظير. فمثلاً:
 نحن نشاهد أنفسنا في المرأة، دون أن نرى المرأة نفسها. في هذه الحالة دور المرأة دور «ما به
 يُنظر»، أي ننظر بالمرأة وجهها و المرأة آلة لانعكاس الصورة.

في بعض الأحيان نحن ننظر الى المرأة نفسها دون الصورة. فمثلاً ننظر الى زجاجها و سطحها
 و جلاءها و إطارها الجميل و إلى غير ذلك. في هذه الحالة دور المرأة «ما فيه يُنظر»، أي ننظر

إلى المرأة نفسها و لا ننظر بواسطتها. لكن الميزة المدهشة للقرآن، هي: أنه «ما به يُنظر» و أيضاً «ما فيه يُنظر».

إضافة إلى الألفاظ و عبارة القرآن الفريدة و بيّنتها و حجّبتها، هو كلام الله. معانيه سامية، لانظير لها، وهو كلام إلهي و سماوي.

إذا كان القرآن كلام النبي، لكان مثار العجب النبي على قدر من الجلال و الكمال. وفي هذه الحالة فإن كلام النبي لا يتعارض مع كلام الله سبحانه وتعالى أن القرآن والنبي أكدا علناً وصراحةً كلام الله الذي نزل من الباري عز وجل. وهنا نشير الى عدة نقاط:

١. ذات يوم قال «وليد بن المغيرة» لرسول الله:

«يَا مُحَمَّدُ أَتَشِدُّنِي مِنْ شِعْرِكَ. قَالَ: مَا هُوَ بِشِعْرٍ وَ لَكِنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ الَّذِي بِهِ بَعَثَ أَنْبِيَاءُهُ وَ رُسُلُهُ. فَقَالَ الْوَلِيدُ: أَتُلِّ عَلَى مِنْهُ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. فَلَمَّا سَمِعَ الرَّحْمَنُ اسْتَهْزَأَ، فَقَالَ تَدْعُو إِلَى رَجُلٍ بِالْيَمَامَةِ يُسَمَّى الرَّحْمَنُ؟ قَالَ لَا وَ لَكِنِّي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ وَ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ. ثُمَّ افْتَتَحَ سُورَةَ حَمِ السَّجْدَةِ، فَلَمَّا بَلَغَ إِلَى قَوْلِهِ: فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ، وَ سَمِعَهُ أَقْشَعَرَ جِلْدَهُ»^٢

٢. القرآن ينادى عالياً وبوضوح أنه كلام الله، لأنه لا معنى أن يقول رسول الله مخاطباً نفسه:

«قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ»^٤

«قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ»^٥

«قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ»^٦

«قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ»^٧

٣. إذا كان القرآن كلام النبي، فلا معنى له أن يتكلّم ويعطى لنفسه الكثير:

١. يجب ان نشير إلى أن ما يقوله النبي هو من عند الله، ولكن في بعض الاحيان فإن المعنى من الله واللفظ من النبي. وفي بعض الاحيان يكون اللفظ والمعنى من عند الله. فإذا كان اللفظ من عند الله فإنه يصبح قرآن، وإذا لم يكن يكون حديثاً قسسياً. كثير من الألفاظ والأدعية وخاصة أسماء وصفات الله الفاظ صادرة من الله يطلق عليها الأحاديث القدسية.

٢. فصلت (٤١): ١٣.

٣. تفصيل هذه القضية تجده في بحار الانوار: ج ١٧، ص ٢١١.

٤. الكافرون (١٠٩): ١.

٥. الاخلاص، (١١٢): ١.

٦. الناس (١١٣): ١.

٧. آل عمران (٣): ١٨٣.

«إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكِتَابَ الْكَوْنُورَ»

أو أن يشرح لنفسه:

«وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ»

٤. لقد نزلت كلمات وحروف القرآن جميعها على قلب الرسول الاكرم^٦ فنزول القرآن على النبي كان حاسماً و واضحاً، حيث يصريح قريب من مائة و اربعين آية من الآيات المباركات، أنَّ القرآن انزل من عند الله. و نحن نكتفي بذكر آيات عديدة فقط تيمناً بها:

«تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ»

و نقرأ تأكيد أكثر على نزول القرآن من عندالله، نقرأ الآية التالية:

«قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ»

و الآيات التي ذكرناها، تصرح بنزول القرآن من عند الله. وهناك آيات اخرى تقول، أنَّ القرآن أنزل على النبي^٦.

هنا، نذكر بضع من الآيات:

«و نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ»

«إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ»

«مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى»

١. الكوثر (١٠٨): ١.

٢. الاحزاب: ٣٧.

٣. الزمر (٣٩): ١. انظر الآيات التالية: السجدة (٣٢): ٢، يس (٣٦): ٥، غافر (٤٠): ٢، فصلت (٤١): ٢ و ٤٢، جاثية (٤٥): ٢، أحقاف (٤٦): ٢، الواقعة (٥٦): ٨٠. الحاقة (٦٩): ٤٣.

٤. النحل (١٦): ١٠٢.

٥. النحل (١٦): ٨٩. و انظر أيضاً: آل عمران (٣): ٣ و ٧، النساء (٤): ١١٣، النحل (١٦): ٦٤.

٦. النساء (٤): ١٠٥، المائدة (٥): ٤٨. و انظر أيضاً: البقرة (٢): ٩٩، زمر (٣٩): ٤١، النحل (١٦): ٤٤.

٧. طه (٢٠): ٢.

«إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا»^١

٥. نزول القرآن على النبي واضح، حيث اعترف الكفار به. يقول القرآن عن لسانهم:

«قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً»^٢

٦. إضافة إلى كل ما قلناه، تذكر آيات من القرآن الكريم عن هذا الكتاب العظيم بصفة "كلام الله". مثل هذه الآية الشريفة:

«وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ»^٣

كان المشركون يسمعون كلام الله على لسان النبي، وهو كلام الله، لا كلام النبي. وعلى هذا فان جميع العبارات و الألفاظ و كلمات القرآن، كما كانت، أنزلت من عند الله عزوجل على رسول الله و تلاها رسول الله^٤ على الناس، كما هي، بلا تغيير و لا تبديل. لذلك، فالقرآن كلام الله عزوجل.

القرآن و النبي

علمنا ان القرآن هو كلام الله. والآن نحن نتحدث عن النبي و علاقته بالقرآن:

١. النبي كان محور خطاب القرآن، و أنزل القرآن على قلبه:

«قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلْجَبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ»^٥

و يقول في آية أخرى:

«نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ* عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ»

١. المزمل (٧٣): ٥.

٢. فرقان (٢٥): ٣٢.

٣. التوبة (٩): ٦، وانظر: الآيات ٧٥ البقرة و ١٥ الفتح تبين بان القرآن كلام الله.

٤. البقرة (٢): ٩٧.

٥. الشعراء (٢٦): ١٩٤-١٩٣.

٢. اضافة إلى نزول القرآن على قلب النبي، علّمه الله تعالى العلوم و معارف القرآن:

«إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيِي يُوحَىٰ * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ»^١

«وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ»^٢

٣. بعد نزول الآيات النورانية للقرآن على قلب النبي و القاء هذه الكلمات الالهية عليه و تعليم القرآن إيّاه، يقوم النبي في مقام القارئ و التالي لكتاب الله. وجاء هذا المقام و الدرجة في الآيات التي نذكرها:

في المرحلة الاولى، أنّ الله تبارك و تعالى يعلم النبي قراءة القرآن، يعني أنّ الله يتلو آياته على نبيه أولاً، ثمّ يأمره ان يتلو تلك الآيات على الناس:

«تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ»^٣

٤. و في آية اخرى يعلم النبي كيفية قرائته و يقول:

«إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ»^٤

و يبشّر الله نبيه:

«سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى»^٥

٥. مهمّة النبي هي أن يقرأ القرآن:

«وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ

فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ»^٦

١. النجم (٥٣): ٤-٥. ورد في الأدعية الماثورة أن "شديد القوى" هو الله تعالى. (انظر: تفسير القمي ٣: ٣٣٣، مستدرک الوسائل

٥: ٢٦٠)، كما أنّه فسر بعض المفسرين "شديد القوى" إلى جبرئيل. (انظر: التبيان، مجمع البيان، كنز الدقائق، الميزان).

٢. النساء (٤): ١١٣.

٣. البقرة (٢): ٢٥٢. آل عمران (٣): ٥٨ و ١٠٨، القصص (٢٨): ٢ و ٣، الجاثية (٤٥): ٦.

٤. القيامة (٧٥): ١٨-١٧.

٥. الاعلى (٨٧): ٦.

٦. النمل (٢٧): ٩٢ و ٩١. وانظر أيضاً: البقرة (٢): ١٢٩، آل عمران (٣): ١٦٤، الكهف (١٨): ٨٣، الجمعة (٦٢): ٢، الطلاق

(٦٥): ١١. كما أنّه ورد الأمر إلى النبي بتلاوة القرآن في: المائدة (٥): ٢٧، الأعراف (٧): ١٧٥، يونس (١٠): ٧١، الكهف (١٨): ٢٧،

الشعراء (٢٦): ٦٩، عنكبوت (٢٩): ٤٥.

جاء الامر بتلاوة القرآن للناس فى آية اخرى وهى:

«وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ»

٦. إن تبعية النبي للقرآن إلى حد، أنه لا يغير حرفاً واحداً من آياته.

وهذا الامر يحكى عن حقيقة قائلها هو القرآن و أنّ القرآن كلام الله و علاقة النبي بالقرآن التسليم لله والتبعية له. لنستمع الى هذه الآية:

«وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ»

٢ إن الله يقول فى إبلاغ الآيات و تلاوة القرآن و اتباع الأوامر الإلهية:

«وَإِذَا تَنَزَّلْنَا عَلَيَّهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالِ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَتَنْتَبِهُونَ * هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ * قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَ لَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ»

٧. إضافة إلى تلاوة القرآن و قرائته على الناس، فالنبي له دور أهم، و نقرأ فى هذه الآية الشريفة: «هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ»

٨. و للنبي دور آخر جاء فى هذه الآية:

«وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ»

١. اسراء (١٧): ١٠٦. تبين الآيات: الاسراء: ٤٥ و النحل (١٦): ٩٨. أن النبي كان قارئاً للقرآن.

٢. الحاقة (٦٩): ٤٧-٤٤. علاقة الآية بولاية أمير المؤمنين ٧ فى كتاب الكافي ١: ٤٣٢.

٣. يونس (١٠): ١٥ و ١٦. انظر علاقة الآية بولاية أمير المؤمنين ٧ فى المصادر التالية: تفسير القمي ١: ٣٠٩، تفسير فرات الكوفي: ١٧٧، تفسير العياشي ٢: ١٢٠، الكافي ١: ٤١٩.

٤. انظر فى معانى كلمة "الأمي": معانى الأخبار: ٥٣، علل الشرايع ١: ١٢٥، بصائر الدرجات: ٢٢٦، تفسير العياشي ٢: ٣١٠، تفسير القمي ٢: ٣٦٦، تفسير فرات: ٤٨٣.

٥. الجمعة (٦٢): ٢. ورد هذا المضمون فى الآيتين: البقرة (٢): ١٢٩، آل عمران (٣): ١٦٤.

١. النحل (١٦): ٤٤.

٢. النحل (١٦): ٦٤، وانظر: الكافي ١: ٢٩٥.

جاءت هذه المهمة للنبي بشكل آخر، مع تأكيد أكثر:

«وَمَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ»

على هذا يتضح لنا:

١. إِنَّ الْقُرْآنَ قَدْ أُنْزِلَ عَلَى قَلْبِ النَّبِيِّ ٦.
٢. عَلَّمَ جِبْرِيلُ الْقُرْآنَ لِلنَّبِيِّ ٦.
٣. تَعَلَّمَ النَّبِيُّ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ مِنَ اللَّهِ.
٤. النَّبِيُّ مَأْمُورٌ أَنْ يَتْلُو قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ.
٥. عَلَّمَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ نَبِيَّهُ كَيْفَ يَتْلُو الْقُرْآنَ.
٦. يَقْتَدِي النَّبِيُّ بِالْقُرْآنِ تَمَامًا، وَعِلَاقَةُ الْقُرْآنِ وَالنَّبِيِّ عِلَاقَةُ التَّسْلِيمِ وَالِإِتِّبَاعِ.
٧. تَبَيَّنَ آيَاتُ الْقُرْآنِ يَقَعُ عَلَى عَاتِقِ الرَّسُولِ ٦.

مواصفات لا متناهية

ادركنا بالبيانات و البينات القرآنية أنَّ أولَّ منزلة القرآن و أعلاه أنَّه كلام الله. لذلك فإنَّ مواصفات القرآن لا متناهية. وهذا ما يدلُّ على أنَّ القرآن هو كلام الله. فلا إمام الحسن العسكري ٧ بيان صريح في هذا المجال، روى الراويان للخبر:

«فَقَالَ لَنَا ذَاتَ يَوْمٍ: إِذَا أَنْتَا كُما خَبِرُ كِفَايَةَ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ أَبَوَيْكُما وَ إِخْزَائِهِ أَغْدَاءَهُما وَ صِدْقِي وَعَدِي إِيَّاهُما، جَعَلْتُ مِنْ شُكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ أَنْ أُفِيدَكُما تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ مُشْتَمِلًا عَلَى بَعْضِ أَخْبَارِ آلِ مُحَمَّدٍ ٦، فَيُعْظِمُ اللَّهُ تَعَالَى بِذَلِكَ شَأْنَكُما. قَالَا: فَفَرَحْنَا وَ قُلْنَا: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ فَإِذَا نَأْتِي (على جميع) عُلُومِ الْقُرْآنِ وَ مَعَانِيهِ قَالَ ٧: كَلَّا، إِنَّ الصَّادِقَ ٧ عَلَّمَ مَا أُرِيدُ أَنْ أُعَلِّمَكُما بَعْضَ أَصْحَابِهِ فَفَرِحَ بِذَلِكَ، وَ قَالَ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ قَدْ جَمَعْتَ عِلْمَ الْقُرْآنِ كُلَّهُ فَقَالَ ٧: قَدْ جَمَعْتُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَ أُوتَيْتُ فَضْلًا وَاسِعًا، لَكِنَّهُ مَعَ ذَلِكَ أَقَلُّ قَلِيلٍ مِنْ أَجْزَاءِ عِلْمِ الْقُرْآنِ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ يَقُولُ: «قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي - لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَ لَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا» وَ يَقُولُ: «وَ لَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَ الْبَحْرُ يَمْدُهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ

١. قال الامام الصادق في هامش هذه الآية الشريفة: «قَدْ أَخْبَرْتُكَ أَنَّ كَلَامَ اللَّهِ لَيْسَ لَهُ آخِرٌ وَ لَا غَايَةٌ وَ لَا يَنْقَطِعُ أَبَدًا» (تفسير الفتي / ٢ / ٤٦)

كَلِمَاتُ اللَّهِ» وَ هَذَا عِلْمُ الْقُرْآنِ وَ مَعَانِيهِ، وَ مَا أُوْدِعَ مِنْ عَجَائِبِهِ، فَكَمْ تَرَى مِقْدَارَ مَا أَخَذَتْهُ مِنْ جَمِيعِ هَذَا الْقُرْآنِ وَ لَكِنَّ الْقَدَرَ الَّذِي أَخَذَتْهُ، قَدْ فَضَّلَكَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ عَلَى كُلِّ مَنْ لَا يَعْلَمُ كَعِلْمِكَ، وَ لَا يَفْهَمُ كَفَهْمِكَ»

وعلى هذا، فهل لأحد غير النبي و الائمة المعصومين: أهلية الكلام حول حقائق القرآن و عمقه؟.

من جانب آخر، قال النبي^٦ في إحدى أقواله عن القرآن:

«فَضَّلُ الْقُرْآنَ عَلَى سَائِرِ الْكَلَامِ كَفَضْلِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ»

كما أنَّ الله سبحانه و تعالى منزّه من ان يقاس بمخلوقاته. بطريق الاولى كلامه منزّه من ان يقاس بكلام خلقه. يقول النبي^٦ في كلام آخر:

«الْقُرْآنُ أَفْضَلُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ دُونَ اللَّهِ»

و في قسم من كلام آخر يقول الامام علي^٧:

«كَمَا لَيْسَ شَيْءٌ مِنْ خَلْقِهِ يُشَبِّهُهُ، كَذَلِكَ لَا يُشَبِّهُ فِعْلُهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى شَيْئًا مِنْ أَعْمَالِ الْبَشَرِ، وَ لَا يُشَبِّهُ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِهِ كَلَامَ الْبَشَرِ»

بناء على هذا، من الذى يقدر ان يتفوّه في مواصفات القرآن و كماله الا صاحبه و قائله؟ يمكن ان يتكلّم رسول الله^٦ في وصف القرآن و أن يتبعه عترته في هذا القول. فقد قال الرسول، بان عترته أحد الثقلين و وديعة قيّمة أودعها النبي بين الامة. و اولئك يقدرّون أن يتكلّموا حول القرآن لموافقة القرآن و العترة و عدم افتراقهما و لأجل وجود علم الكتاب في صدورهم ايضاً. ومن الضروري ان نؤكد مرّة اخرى، أنّ عترة النبي الذين هم حملة علوم القرآن و ورثة علم النبي و كلّما يقولونه، يأتي بتعليم الله و تعليم نبيّه.

لننظر الى روايتين في هذا الصدد:

الأول: «عَنْ جَابِرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ^٧ قَالَ: يَا جَابِرُ إِنَّا لَوْ كُنَّا نُحَدِّثُكُمْ بِرَأْيِنَا وَ هَوَانَا لَكُنَّا مِنْ

٢. بخارالانوار ١ / ٧٢ تهذيب تفسير الامام الحسن العسكري / ٩.

٣. بخارالانوار ٨٩ / ١٩.

٤. بخارالانوار ٨٩ / ١٩.

٥. كتاب التوحيد، الصدوق / ٢٦٥ و بخارالانوار ٨٩ / ١٠٧.

٦. نتحدث عن حديث الثقلين بصورة مفصلة وحول أن الائمة (عليهم السلام) يعلمون علوم القرآن في مقال آخر، ان شاء الله. و راجع: بخارالانوار ٨٩ / باب ٨.

١. جابر بن يزيد الجعفي من اصحاب الامام الباقر و الامام الصادق^٨. مات هو في سنة ١٢٨ او ١٣٢. له منزلة عظيمة عند الامامين و تعلم احاديث كثيرة منها.

الْهَالِكِينَ وَ لَكِنَّا نَحْدِثُكُمْ بِأَحَادِيثٍ نَكْثُهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَمَا يَكْثُرُ هَؤُلَاءِ دَهْبُهُمْ وَ فَضْلُهُمْ»
 الثاني: «عَنِ الْفَضِيلِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ٧ أَنَّهُ قَالَ: لَوْ أَنَّا حَدَّثْنَا بِرَأْيِنَا ضَلَلْنَا كَمَا ضَلَّ مَنْ
 كَانَ قَبْلَنَا وَ لَكِنَّا حَدَّثْنَا بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّنَا بَيِّنَهَا لِنَبِيِّهِ فَبَيَّنَهَا لَنَا»
 فلنعلم، انه لا يصح الحديث عن القرآن، الا وفق كلام القرآن عن نفسه ووفق كلام النبي و عترته.
 لذلك علينا ان نعرف القرآن كما عرّف القرآن نفسه. و يجب ان نعرف القرآن كما عرفنا النبي و
 العترة اياه.

المصادر

١. بحار الانوار (طبعة بيروت)؛ المجلسي؛ العلامة محمد باقر بن محمد تقي؛ ١٠٣٧ - ١١١٠ ق؛ تحقيق؛ جمع من الباحثين؛ ١١٠ مجلدات؛ تحقيق؛ جمعي من الباحثين، الناشر؛ دار إحياء التراث العربي؛ بيروت؛ ١٤٠٣ هجرية.
٢. بصائر الدرجات في فضائل آل محمد؛ صفار؛ محمد بن حسن؛ المتوفى ٢٩٠ ق؛ تحقيق؛ كوجه باغي؛ محسن بن عباسعلي؛ الناشر؛ مكتبة آية الله مرعشي النجفي؛ ١٤٠٤ هجرية.
٣. تفسير التبيان؛ الشيخ طوسي (شيخ الطائفة) محمد بن حسن الطوسي؛ ٣٨٥ - ٤٦٠ ق؛ ١٠ مجلدات؛ تحقيق؛ احمد قصير العاملي؛ بيروت؛ دار إحياء التراث العربي.
٤. تفسير العياشي؛ عياش السلمى السمرقندى؛ محمد بن مسعود؛ م ٣٢٠ ق؛ مجلدان اثنان؛ المكتبة العلمية الاسلامية؛ ايران؛ طهران؛ ١٣٨٠ هجرية.
٥. تفسير القمي؛ القمي، ابي الحسن على بن ابراهيم؛ م ٣٠٧ ق؛ تصحيح؛ موسى الجزائري - طيب؛ مجلدان اثنان؛ ايران؛ قم؛ دارالكتاب؛ ١٤٠٤ هجرية.
٦. تفسير الميزان؛ الطباطبائي؛ العلامة سيد محمد حسين؛ ١٢٨١ - ١٣٦٠. ش؛ ٢٠ مجلد؛ دارالكتب الاسلامية / ١٣٧٥ هـ. ق.
٧. تفسير الامام الحسن العسكري؛ (المنسوب الى الامام الحسن العسكري)؛ القرن الثالث؛ تحقيق؛ محمد باقر الابطحي؛ ايران؛ قم؛ ١٤٠٩ هجرية.
٨. تفسير فرات الكوفي؛ ابوالقاسم فرات بن ابراهيم؛ م ٣٥٢ ق؛ تحقيق؛ محمد الكاظم؛ ايران؛ طهران؛ وزارة الثقافة و الارشاد الاسلامي؛ مؤسسة الطبع والنشر؛ ١٤١٠ هجرية.
٩. تفسير كنز الدقائق و بحر الغرائب؛ قمي مشهدى؛ ميرزا محمد؛ م ١١٢٥ هجرية؛ ١٤ مجلد؛ تحقيق؛ حسين درگاهي؛

قد جاءت ترجمته في كتاب «قاموس الرجال» للعلامة التستري ٢ / ٥٣٢ - ٥٥٠.

٢. بصائر الدرجات / ٣١٩ و بحار الانوار / ٢ / ١٧٢.

٣. كان فضيل بن يسار من اصحاب الامام الباقر و الامام الصادق ٨. مات في حياة الامام الصادق ٧. يعتبره اصحاب الحديث ثقة. له منزلة سامية. انظروا ترجمته في كتاب «تفقيح المقال» للمامقاني ٢ / ١٥ / باب الفاء.

٤. بصائر الدرجات / ٣١٩ و بحار الانوار / ٢ / ١٧٢.

ايران؛ طهران؛ وزارة الثقافة و الارشاد الاسلامي؛ مؤسسة الطبع والنشر؛ ١٣٦٧ ش / ١٩٩٠ م.

١٠. تنقيح المقال في علم الرجال؛ مامقاني - عبدالله (م ١٣٥١ هجرية)؛ مامقاني - محمد رضا؛ مامقاني - محي الدين؛ ثلاث مجلدات؛ بيروت؛ مؤسسة آل البيت لإحياء التراث.

١١. قاموس الرجال؛ التستري؛ محمد تقي؛ م ١٤١٦ ق؛ ١٢ مجلدًا؛ ايران؛ قم المقدسة؛ مؤسسة النشر الاسلامي؛ ١٤١٠ هجرية.

١٢. الكافي (طبعة الاسلامية)؛ الكليني؛ محمد بن يعقوب؛ المتوفى ٣٢٩ ق؛ تحقيق و تصحيح؛ على أكبر غفاري و محمد آخوندي؛ دار الكتب الاسلامية؛ ١٤٠٧ هجرية.

١٣. كتاب التوحيد؛ ابن بابويه؛ محمد بن علي؛ طبع هاشم حسيني طهراني؛ قم؛ ١٣٥٧ ش.

١٤. مستدرک الوسائل و مستنبط المسائل؛ نوري؛ حسين بن محمد تقي؛ ١٢٥٤-١٣٢٠ هجرية؛ تصحيح / تحقيق؛ مؤسسة آل البيت؛ الناشر؛ مؤسسة آل البيت؛ قم، ١٤٠٨ هجرية.

١٥. نهج البلاغه، الشريف، الرضي، تحقيق؛ صالح؛ صبحي؛ ايران؛ قم؛ دار الهجرة؛ ١٤١٤ هجرية.